

البرهان في علوم القرآن

يعنى لا تغلبه فكأنه يقول لا يغلبه القليل ولا الكثير من النوم والأخذ في اللغة بمعنى القهر والغلبة ومنه سمى الأسير مأخوذاً وأخيذاً وزيدت لا في قوله ولا نوم 1 لنفيهما عنه بكل حال ولولاها لاحتمل أن يقال لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة وإذا ذكرت صفات فإن كانت للمدح فالأولى الانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى ليكون المدح متزايداً بتزايد الكلام فيقولون فقيه عالم وشجاع باسل وجواد فياض ولا يعكسون هذا لفساد المعنى لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلاً تحته فلم يكن لذكره معنى ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالعلام . وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل أيهما أبلغ على ثلاثة أقوال ثالثهما أنهما سواء .

قال الأقليشي² والحق أنك مهما نظرت إلى شخص فوجدته مع شرف العقل والنفس كريم الأخلاق والسجيا معتدل الأفعال وصفته بالكمال وإن وجدته وصل إلى هذه الرتب بالكسب والمجاهدة وإمارة الرذائل وصفته بالفضل وهذا يقتضي أنهما متضادان فلا يوصف الشخص الواحد بهما إلا بتجوز .

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة 3 إنما قدم الغيب مع أن علم المغيبات أشرف من المشاهدات والتمدح به أعظم وعلم البيان يقتضي تأخير الأمدح وأجاب بأن المشاهدات له أكثر من الغائب عنا والعلم يشرف بكثرة متعلقاته فكان تأخير الشهادة أولى .

وقول الشيخ إن المشاهدات له أكثر فيه نظر بل في غيبه ما لا يحصى ويخلق